مجلة جامعة الزيتونة الدولية - مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
282-256ص.ص   العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537   Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

من بلاغة النظم القرآني في سورة الفجر

Eloquence of the Holy Quran Explained in Surat AlFajr

د. أيمن البيلي محمد
DR. AYMAN ELBIALY MOHAMMED

[أستاذ مساعد – معهد الإدارة العامة – الرياض – المملكة العربية السعودية]
Email: noor76198676@yahoo.com

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
282-256ص.ص العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص:

تعددت الأوقات في القرآن الكريم بين سرد لها في سياق المعاني أو القَسم بها، وقد كثرت السور التي تستهل قسمها بالأوقات كالضحى والعصر والليل والفجر. وقد جاءت هذه الأوقات المقسم بها لدلالات غاية في الدقة وإصابة المعنى. وسورة الفجر لها خصوصية بين تلك السور؛ حيث جاء القسم في مستهلها بأربعة عناصر (الفجر والليال العشر والشفع والوتر والليل إذا يسر)، ولكلٍ عنصر من تلك العناصر خصوصية في أهميته والقسم به. ولعلنا في هذا البحث نصل إلى بعضٍ من تلك الخصوصية من خلال التحليل العام لهذه العناصر مع أجزاء السورة الأخرى، وما تشتمل عليه من سرد موجز لعاقبة بعض الأمم الغابرة كعاد قوم هود وقود فرعون وثمود قوم صالح. وعند انتقال الآيات إلى كشف جوهر الإنسان وطبيعته الحقيقية، والتي تجعله ينظر إلى الأمور نظرة سطحية دون توقف وتأمل، نجد مدى عمق التناسب والتواؤم بين أجزاء السورة المختلفة، ليكون ذلك مدخلاً لمواجهة هذا الإنسان بسلوكه، وتذكيره بما يقوم به نحو الآخرين من الضعفاء حباً في الدنيا وملذاتها، وهو ما استدعى التذكير بالآخرة ومشاهدها، وبيان عاقبة كلٍ من المسيء والمحسن.

الكلمات المفتاحية: الاستهلال بالقسم – عواقب الأمم السابقة – حقيقة النفس البشرية.

Abstract:

There are many times in the Holy Qur'an, either narrating them in the context of their meanings or swearing by them, and there are many surahs that begin their section with times, such as forenoon, afternoon, night, and dawn. These divided times have very precise and accurate connotations. Surah Al-Fajr has a special meaning among those surahs. The oath came at the beginning with four elements (the dawn, the ten nights, the intercession, the odd night prayer, and the night when it is easy), and each of these elements has a specificity in its importance and the oath by which it is sworn. Perhaps in this research we will reach some of that specificity through a general analysis of these elements along with the other parts of the Surah, and the brief narration it contains of the outcome of some ancient nations, such as Ad, the people of Hud, the fuel of Pharaoh, and Thamud, the people of Salih. When the verses move to reveal the essence of man and his true nature, which makes him look at things superficially without pausing and contemplating, we find the

depth of proportionality and harmony between the different parts of the surah, so that this is an entry point to confront this man with his behavior, and remind him of what he does towards others who are weak out of love for this world. And its pleasures, which necessitated a reminder of the afterlife and its scenes, and an explanation of the consequences of both the wrongdoer and the doer of good.

Keywords: beginning with an oath - the consequences of previous nations - the truth about the human soul.

مقدمة البحث:

كما كرم الله تعالى جنس الإنسان على سائر المخلوقات، كرم كذلك بعض الأوقات في كتابه العزيز، كالعصر والفجر والضحى والنهار والليل والصبح، وغير ذلك من الأوقات التي يكمن فيها سر التكريم الإلهي.

وقد ذكر سبحانه الفجر في أربعة مواضع من كتابه العزيز، الموضع الأول جاء في سورة البقرة حيث قال عز من قائل ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْل ﴾(1)، والموضع الثاني جاء في قوله تعالى ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾(2) وأما الموضع الثالث فقد ورد في قوله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾(3).

والأوقات عند الله لها أهمية كبيرة، فكل وقت منها له خصوصية، فخصوصية النهار مثلا تتمثل في الحركة والنشاط وطلب الرزق وغير ذلك مما يقتضي التفاعل مع المخلوقات في جميع مناحي الحياة، وخصوصية الليل تتمثل في السكون والهدوء وراحة المخلوقات من عناء النهار، والعصر كذلك بين النهار والليل تتمثل خصوصيته في استعداد المخلوقات لدخول الليل وبداية عودتها من كد النهار ومشاقه، وهكذا لكل وقت خصوصية في القيمة والأهمية.

وأما الفجر ففيه أسرار مكنونة تختلف عن باقي الأوقات، فهو الوقت الذي تسكن فيه المخلوقات سكونًا محققًا، بخلاف الليل الذي يمكن أن تكون فيه حركة بعض المخلوقات وسكون البعض، فإننا نرى حركة الإنسان مهما طالت بالنهار والليل تتباطأ تدريجيا حتى تصل إلى السكون التام وقت الفجر، وهو الوقت الذي تقاوم فيه غلبة النوم وإن نام صاحبه

---

[1] سورة البقرة: 187

[2] سورة النور: 58

[3] سورة الإسراء: 87

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
282-256ص.ص العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

نهارا بأكمله، وكأن سنة الله تقتضي النفاذ إلى النفوس والأعضاء والعقول على جميع الخلق، ومن هنا جاءت قيمة الفجر في خصوصيته للقائمين والمتهجدين والمستغفرين، حيث كل المخلوقات قد خلت مع نفسها بالسكون والهدوء، وهؤلاء قد استغلوا الوقت ليختلوا بالرحمن ومناجاته.

ولربما لو أطلنا الحديث عن مكنونات الفجر وأسراره التي منَّ الله علينا ببعضها ما وفينا درجته في القبول والقيمة، لذا كان من الملفت للانتباه التعرض لتلك السورة الجليلة ببعض التحليل البلاغي الذي يمكن أن يشارك ولو بجزء يسير في بيان عظمة هذا الكتاب الكريم، ولسنا بذي الدرجة التي تؤهلنا لذلك، سائلين الكريم أن يكرمنا بشرف الانتساب إلى صفوف من سبقونا من المحبين لكتابه قولًا وعملًا.

وقد قسمت هذا البحث إلى أربعة مباحث اشتملت عليها سورة الفجر، متبوعة بالنتائج والتوصيات. وكل قسم من تلك الأقسام يرتبط بما قبله وما بعده برباط متين لا انفكاك فيه، يحكمها جميعًا نظمٌ قرآني غاية في البلاغة وحسن البيان.

والسورة على قلة عدد آياتها والتي تبلغ ثلاثين آية تحمل من الأهداف والغايات ما يحتاج إلى دقة وتأمل في الألفاظ والمعاني والاستعمال، فلا يكاد متأمل يستهل السور القصار بالقراءة حتى يبدأ في تلمس مواضع الجمال والحسن والإعجاز، لا في النظم فحسب، بل في الأهداف والغايات التي تتعاون مع النظم بشكلٍ عظيم وبديع، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(4).

وقد جعلت لكل قسم مبحثًا معنونًا، فأما المبحث الأول فقد جاء بعنوان: الاستهلال بالقسم، والآيات التي تندرج في هذا المبحث في قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾.

وجاء المبحث الثاني بعنوان: بلاغة النظم في سرد عواقب الأمم السابقة، وذلك مع قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

وجاء المبحث الثالث بالسورة تحت عنوان: بلاغة القرآن في بيان حالة النفس البشرية، والآيات في هذا المبحث جاءت في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ، كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

---

[4] سورة محمد: 24

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية

https://journal.ziu-university.net

30/04/2024

Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282

Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وأما عنوان المبحث الرابع فكان عنوانه: بلاغة النظم في بيان أهوال القيامة وموقف البشرية منها، والآيات التي وردت لهذا المبحث في قوله تعالى ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي، فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ، يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث فيما يلي:

- تسليط الضوء على قيمة الأوقات في القرآن الكريم، لا سيما في قصار السور ودلالتها في التعبير بالقسم ضمن السياق الدلالي للآيات.
- التعرف على أسلوب الإيجاز في القرآن، وعلاقته بعاقبة الأمم السابقة، وأسرار إيثار أمم في بيان العاقبة عن غيرها.
- تلمس المواضع البلاغية في قصار السور، وأهمية ذلك في رسم نموذج لما يمكن أن تكون عليه بقية الأوقات في بدايات السور كالليل والشمس والعصر وغيرها.
- عدم التقليل من شأن اللفظة ودلالتها في الآيات القرآنية وما يمكن أن تحمله من معانٍ تتجاور مع أخواتها في النهوض بالمعنى الكلي المقصود.
-

مشكلة الدراسة:

يمكننا أن نحدد مشكلة هذه الدراسة في النقاط التالية:

- ندرة الدراسات البلاغية المهتمة بقصار السور، لا سيما المستهلة منها بالأوقات وبيان أسرارها الدلالية.
- عدم ورود لفظة الفجر في سياق التحليل الخاص كسورة منفصلة، ووجودها بكثرة ضمن تحليل عام في سياق آيات سور أخرى، كآيات الصيام([5])، والاستئذان([6]).

---

5 المقصود قوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة: من آية 187].

6 المقصود قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [سورة النور: من آية 58] .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مناسبة سورة الفجر لما قبلها:

قبل ولوجنا إلى أشرف الكلمات وأعذبها على الألسنة وأفصحها بلاغةً، لا بد من ذكر مناسبة سورة الفجر مع ما قبلها، وروابطها مع ما بعدها، فقد قال الرازي وهو يفسر سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القـرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته"([7]).

وقد بين الإمام البقاعي أوجه الارتباط والتناسب بين سورة الفجر وما قبلها بقوله: "مقصود السورة الاستدلال على آخر الغاشية الإياب والحساب، وأدل ما فيها على هذا المقصود الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس، من غير فرق في شيء من الذات وانبعاث النيام من الموت الأصغر، وهو النوم بالانتشار يفي ضياء النهار لطلب المعايش للمجازاة في الحساب بالثواب والعقاب) بسم الله (جامع العباد بعد تمزيقهم بما له من العظمة) الرحمن (الذي عمهم بعد العموم بالإيجاد بالبيان المهيئ من شاء للإيمان) الرحيم (الذي خص أولياءه بالرضوان المبيح الجنان)"([8]). والواضح هنا أن البقاعي ينظر إلى نهاية الغاشية وبداية الفجر، وأسبابه الظاهرة تدل على شعورة بقيمة هذا الربط بين الآيات، ولعله سبحانه بعد ختم الغاشية بتأكيد الحساب والإياب وتأكيد ذلك بإضافتهما إليه بقوله جل في علاه (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)، أراد سبحانه التحذير من عاقبة الأمم السابقة وذلك بالتمهيد بالقسم بوقت هو في الأصل أشرف وقتٍ في اليوم، تلاه مقسمات عالية القيمة، ليسبب بعد ذلك تأكيد الحساب في آخر الغاشية بقوله سبحانه في بداية الفجر (إن ربك لبالمرصاد)، وقال السيوطي في ذلك: "لم يظهر لي في وجه ارتباطها سوى أن أولها كالإقسام على صحة ما ختم به السورة التي قبلها، من قوله جل جلاله: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: 25، 26]، وعلى ما تضمنه من الوعد والوعيد"([9]).

المبحث الأول، الاستهلال بالقسم:

---

7 السـيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٤م. 3/ 370.

8 البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة. 22/ 21.

9 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تَناسُق الدرر في تَناسُب السوَر، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢ م – ١٤٢٢هـ، 158.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وذلك في قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾. فقد استهل الله تعالى السورة الكريمة بأربعة تراكيب مقسم بها بحرف مشترك وهو الواو، وقد أقسم سبحانه بأوقات كثيرة في القرآن، وجاءت سور كاملة باسم هذه الأوقات، كالعصر والليل والضحى، وكل هذه الأوقات جاءت مقسم بها مع ذكر المقسم عليه تاليًا، فقال تعالى في سورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾(10) وقال تعالى في سورة الليل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾(11)، وقال تعالى في سورة الضحى ﴿وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾(12)، فجاءت أجوبة القسم في السور الثلاث تالية ﴿إن الإنسان لفي خسر، إن سعيكم لشتى، ما ودعك ربك وما قلى﴾.

وأما جواب القسم في تلك السورة فقد جاء متأخرًا وبعيدًا عن المقسم به، وهو قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وقد ذكر الله تعالى بين الطرفين ما يستدعي ذلك الجواب، فقال سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، وكمال الحسن هنا يتجلى في أكثر من سبب:

- إجبار المستمع على الإنصات التام مع التدبر فيمن يقسم عليهم العلي الحكيم، والأخذ بسمعه حتى يتم له نهاية الطغاة والعصاة.
- الإتيان باستفهام الله تعالى (هل في ذلك قسم لذي حجر) استدعى ذكر عاقبة الأمم السابقة، لخصوصية فهم هذا الأمر عند أصحاب العقول الحية الراجحة، فكان الجواب (إن ربك لبالمرصاد) جوابًا منطقيًا تاليًا لتلك العواقب.

ويمكن القول بأن المشترك ما بين المقسمات الأربعة عظيم وخطير؛ لأن الله تعالى لا يقسم إلا بعزيز لديه، وإن كان الإنسان يستعمل أسلوب القسم لتأكيد كلامه للمخاطب، فالله تعالى غني عن ذلك، فهو أعلم بخلقه؛ ليقيم عليهم الحجة يوم الحساب، وهو ما أشار إليه سبحانه في المبحث الرابع عندما ذكر مشهدًا من مشاهد القيامة؛ حتى يؤكد على مدى ارتباط بدايات السورة بجميع أجزائها التالية، وذلك في قوله جل شأنه ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي، فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.

---

[10] سورة العصر: 1، 2.

[11] سورة الليل: 1-4.

[12] سورة الضحى: 1-3.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

جاء في لسان العرب: "الفجر: ضوء الصباح وهو حمرة الشمس في سواد الليل، وهما فجران: أحدهما المستطيل وهو الكاذب الذي يسمى ذنب السرحان، والآخر المستطير وهو الصادق المنتشر في الأفق الذي يحرم الأكل والشرب على الصائم ولا يكون الصبح إلا الصادق" (13).

وقد ذكر الله تعالى الفجر في أكثر من موضع في كتابه العزيز، جاءت جميعها عند التدقيق مبينة لمدى عظمة وقدسية هذا الوقت دون غيره من الأوقات، جاء الموضع الأول في قوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(14)، وجاء الموضع الثاني في قوله تعالى ﴿فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْباناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(15)، قال النحاس: "ومعنى فالق الإصباح الذي خلق له فلقًا وهو الفجر. يقال للفجر: فلق الصّبح وفرقه"(16)، والموضع الثالث في قوله تعالى ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً ﴾(17)، وأما الموضع الرابع ففي قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾(18)، والموضع الخامس جاء في قوله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبارَ النُّجُومِ﴾(19)، قال النحاس: "وَإِدْبارَ النُّجُومِ فيه قولان: أحدهما أنه لركعتي الفجر، وقال الضّحاك وابن زيد: صلاة الصبح"(20)، وأما الموضع السادس ففي قوله تعالى ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾(21)، وجاء الموضع الأخير في الآيات التي معنا محل الدراسة، ولم يأت الفجر مقسمًا به في كتاب الله إلا في تلك السورة .

---

13 ابن منظور، محمد بن مكرو بن علي. لسان العرب، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ، 45/5.

14 سورة البقرة: 187

15 سورة الأنعام: 96

16 النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ، 23/2.

17 سورة الإسراء: 87

18 سورة النور: 58

19 سورة الطور: 49

20 إعراب القرآن، مصدر سابق، 178/4

21 سورة القدر: 5

وأسلوب القسم أسلوب إنشائي جاء بهدف إيقاظ العقل من غفلته والقلب من غفوته، فيتلهف السامع إلى الهدف منه والغرض الذي سيق من أجله، فأقسم سبحانه بأربع (الفجر، اللیال العشر، الشفع والوتر، اللیل إذا یسر)، ولم يأت مقسمًا به من تلك الأربعة في سورةِ أخرى سوى الليل، والذي سميت السورة باسمه.

وتأتي أسرار متعددة للاستهلال بالفجر، منها ما يساق من خلال تحليل هذا المبحث، ومنها ما تضطرنا إليه الآيات اضطرارًا في المباحث التالية، ومن الملاحظ أن الترتيب في جمل القسم الأربعة جاء لغرض مرتب ومقصود، ومن يتدبر القرآن يجد العجب العجاب والإعجاز المهاب، حتى اللفظة وحدها بين التركيب لها دلالة خاصة في موضعها، لخدمة الغرض العام من هذا التركيب، فالفجر مثلًا يقصد منه الله تعالى في العلن لفت الانتباه إلى أهمية هذا الوقت الذي يمر كل يوم دون العناية والاهتمام بقيمته، وإثارة الدافعية والحماس لدى الغفلة والكسالى؛ حتى يدفعهم دفعًا إلى اغتنامه كل يوم، خاصةً وأنه يتحكم تحكمًا مصيريًا في حياة الناس جميعًا من خلال أقواتهم وأرزاقهم، فضلًا عن المزية التي اختص بها هذا الوقت دون غيره في إجلاله وتعظيمه، وقد وردت أحاديث كثيرة تجلي هذه الأهمية [فعن سَمُرَةَ بن جُندبٍ رضي الله عنه عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: مَن صلّى الصُّبحَ فهو في ذِمَّة اللهِ فلا تَخفِروا اللهَ في عَهده، فمَن قَتَلَهُ طَلَبَهُ اللهُ حتى يَكُبَّه في النَّارِ على وَجهه] .(22)، وورد أنَّ الحجاج أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل، فقال له سالم: أصليتَ الصبح؟ فقال الرجل: نعم. قال: فانطلقْ! فقال له الحجَّاج: ما منعك مِن قتله؟ فقال سالم: حدثني أبي أنه سمع رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: [مَن صلَّى الصبحَ كان في جِوار الله يومَه]، فكرهتُ أنْ أقتلَ رجلاً قدْ أجارَه الله. فقال الحجَّاج لابن عمر: أنتَ سمعت هذا من رسول الله؟ فقال ابن عمر: نعمْ (23).

وأما عن الليالي العشر فقد جاءت تالية في الفضل للفجر (وَلَيَالٍ عَشْرٍ)، وتنكيرها يعني التعظيم الذي لا حدود له، وهو كذلك بمثابة تحفيز العقل واستثارته حول تحديد تلك الليالي، مما يوجب تعطش المسلم الدائم وتشوقه لأي فضل رباني، فيظل على حضور دائم للطاعة، واستعداد مستمر للتطهر من الذنوب، فقد "رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا الْعَشْرُ الْأُوَلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ. وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ والسدي والكلبي: وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأُوَل من شهر رمضان. وَرَوَى أَبُو ظَبْيَانَ عَنِ ابْنِ عباس قال: هِيَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ شَهْرِ رمضان. وقال يمان بن رياب هِيَ الْعَشْرُ الْأُوَلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ الَّتِي عَاشِرُهَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ " (24)، وقد أخرج البخاري عن ابن عباس مرفوعًا: [ما من أيام فيهن العمل أحب إلى الله عز وجل وأفضل من أيام العشر، قيل: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟

22 الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الترغيب والترهيب. مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2000 م، 298/1

23 المصدر نفسه، 316/1

24 البغوي، أبو محمد الحسين بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ، 247/5.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل جاهد في سبيل الله بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء] (25)، وقال الطيبي: "روينا عن الإمام أحمد والترمذي عن عمران بن حصين أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال: [الصلاة بعضُها شفعٌ وبعضُها وترٌ] ثم قال: هذا هو التفسير الذي لا محيد عنه"(26).

وأما في مدى الارتباط بين الفجر والليالي العشر فيمكن تلخيصه في اعتبار الفجر هو النهاية لوقت الليل، وبين هذا وذاك يختص المقربون من الرحمن بصلواتهم ودعائهم، فبين الوقتين أفضل العبادات وأجلها، وإن كانت تلك العظمة تتجلى في كل ليلة من ليالي العمر، وذلك من خلال لزوم التعبد والتهجد فإن قدسيتها وجلالتها في الليالي العشر أظهر.

وواو العطف مع وجودها لعطف أساليب القسم بعضها على بعض، إلا أنها تجلي معنى الفضل وترتب السبق في العظمة من أول تركيب في القسم وحتى آخر تركيب فيه ، وأسباب ذلك متعددة، منها: أن الفجر جاء مقسمًا به في آية واحدة منفردا بينما المقسمات الأخرى جاءت إما مقيدة بزمن كالليالي العشر وهي المقيدة في وقت محدد اختلف فيه العلماء، وكذلك الليل الذي ارتبط بوقت حركته، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أو مرتبطة بغيرها في آية كالشفع والوتر، فلم يأت كل منهما منفردًا بآية كالفجر، أما الفجر فلعظمته جاء منفردًا بآية، فحينما يتلو المسلم الآية الأولى يستشعر مدى جلالة وقدسية هذا الوقت الذي يمر عليه يوميًا، وكأن وجوده ذو أسرار غاية في الأهمية، يأتي في مقدمتها نقاء الكون وصفاءه وطهره حسيًا ومعنويًا، فهو الأمل لكل مكروب ومذنب، والدواء لكل عليل الصدر مهموم، إنه الكون الفطري قبل فساد الإنسان فيه، بل إن شئت أن تقول: إنه الكون الحقيقي قبل تزييف الإنسان له، ومهما بلغ الأنسان مبلغًا في المعرفة والتخصص فلن يبلغ مكنون هذا الوقت، فسبحان من عظَّم وقتًا في كلمة (والفجر).

ولا معنى هنا لكون الليل في القرآن جاء ذكره أكثر من الفجر، لأنه في أكثر تلك الآيات جاء مقرونًا بالنهار، أو مقيدًا بشيء، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (27)، وقال سبحانه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾(28)، وقال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(29)، وفي الآية التي معنا اشترط

---

[25] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ 15/ 334.

[26] المصدر نفسه: 325/13.

[27] سورة الأنبياء: 33

[28] سورة إبراهيم: 33

[29] سورة لقمان: 29

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الله تعالى لليل شرطًا حتى يكون في عداد المقسم به فقال سبحانه ﴿ إذا يسر ﴾، وهو أمر طبعي يكون من أول الليل لآخره، فحركة الليل في حد ذاتها هي المقصودة في الإعجاز هنا، وهي المقصودة كذلك في القسم، والأصل في الآية (إذا يسري)، قال النحاس في إعراب القرآن: "والأصل يسري حذفت الياء في الخط لأنها رأس آية، ومن أثبتها في الإدراج جاء بها على الأصل وحذفت في الوقف اتّباعًا للمصحف الذي لا يحلّ خلافه، وحسن ذلك لأن كل ما يوقف عليه يسقط إعرابه ومن حسن ما قيل في معنى يسري أنه إذا أقبل عند إدبار النها"(30)، وتقييد الليل بهذا الشرط يعني أن تعظيمه مرتبط به، كما ارتبط القسم، وهو ما يفيد أن الألفاظ في القرآن لا تأتي هكذا دون مدلول في مكانها وخدمة المعنى المراد، وكذلك جاء تقييد الشفع والوتر بارتباط كل منهما بالآخر؛ لأن المقصود هو القسم بهما معًا.

ثم يخاطب الله العقول الواعية بقوله ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ فالاستفهام هنا غرضه التقرير، والمعنى "هَلْ فِيمَا أَقْسَمْتُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَقْنَعٌ لِذِي حِجْرٍ. وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ: إِنَّ فِي هَذَا الْقَسَمِ مُكْتَفًى لِمَنْ عَقَلَ عَنْ رَبِّهِ، مِمَّا هُوَ أَغْلَظُ مِنْهُ فِي الْأَقْسَامِ " (31)، وقد فضّل سبحانه لفظة (حِجر) عن غيرها لأسبابٍ منها:

- دلالة اللفظة على عمق الوعي وشحذ الذهن للوصول إلى قيمة المقسم به، وكذلك دلالتها على عدم الانفلات الفكري، قال الطبري " يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ مَالِكًا نَفْسَهُ قَاهِرًا لَهَا ضَابِطًا: إِنَّهُ لَذُو حِجْرٍ" (32)، وجاء في لسان العرب: "والحِجْرُ، بِالْكَسْرِ: الْعَقْلُ وَاللُّبُّ لإمساكه وَمَنْعِهِ وإحاطته بِالتَّمْيِيزِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْقَبِيلَيْنِ" (33).
- الدلالة على الأهمية البالغة للمقسم به، واختصاص الأفهام الذكية بإدراك ذلك، لذا قال النحاس في بيان سبب اختيار لفظة (الحجر): "ومن حسن ما قيل فيه أن المعنى: هل في ذلك مما يقسم به أهل العقل تعظيمًا لما أقيم به وتوكيدًا لما أقسم عليه، واستدل بعض العلماء بهذا وبتعظيمه على أن المعنى: ورب الفجر لأن أهل العقل والإيمان لا يقيمون إلا بالله جل وعز" (34)، والتحفيز هنا واضح من قبل المولى عز وجل للمؤمنين على أن يتسابقوا ويتنافسوا في بيان عظم الآيات التي أقسم الله بها، وعلى النقيض من تغافل عنها وعن إعجازها يوصف بالغبار وتجمد العقل وتوقف الفكر.

---

30 النحاس، مصدر سابق 136/5.

31 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر. 358/24.

32 المصدر السابق، الصفحة نفسها.

33 ابن منظور، مصدر سابق، 4/ 170

34 النحاس، مصدر سابق، 5/ 136

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويتلو هذا الاستفهامَ ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ استفهامٌ آخر في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، وهنا وقفة تأملية، فما هو الداعي للقسم من الله في موضع يسوق فيه أخبار أممٍ غابرة، وقد عوقبت بذنوبها؟!

إن المولى تبارك وتعالى يريد أن يعلمنا احترام العقل البشري الذي لا يصدق أحيانا إلا بالقسم، فإن هناك كفارًا سيقرؤون القرآن كيدًا أو حسدًا أو رغبةً في المعرفة، والقسم هنا في افتتاح قصص الأمم الغابرة يهدف إلى بيان قيمة العقل البشري للمخاطب، وواجب على البشرية احترام عقول بعضها بعضًا، والإنسان لا يعتبر إلا بالعواقب، والارتباط بين جمل القسم وبين مطلع القصص ارتباط وثيق، لأن المقسم هو الله، والقاصُّ هو الله أيضًا، فإن كان المؤمن لا يحتاج إلى القسم لأنه يصدق مولاه فإنه يحتاج للقصص كي يذكر نفسه بعواقب الطغاة والفاسدين، فالترابط بين التراكيب موجود بقوة، وهذا عين النظم، يقول الجرجاني: "واعلم أنّ ممّا هو أصل في أن يدقّ النظر، ويغمض المسلك، في توخّي المعاني التي عرفت: أن تتّحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثانٍ منها بأوّل، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك" (35).

المبحث الثاني، بلاغة النظم في سرد عواقب الأمم السابقة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾(36).

لما انتهى المولى عز وجل من تخصيص جزء من آياته بالقسم، وبين أن تلك الآيات يعجز العاقل اللبيب أمامها، انتقل بحديثه عن الأمم السابقة وما حدث لها مع رسلها، وكيفية القضاء عليهم، فبدأ سبحانه بأسلوب يشوق المتلقي للسماع، فكأنه يخاطب كل مسلم منفردا، ويريد منه جوابًا خاصًا به، فجاء بأسلوب الاستفهام في الاستهلال بقوله ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾، فالاستفهام هنا يُشتم منه رائحة التشويق للمعرفة والبحث عن الخفايا التي يجب ألا يتغافل عنها المسلم، كي يتعلم أن تاريخ الأمم الغابرة ذو قيمة اعتبارية للإفادة منه في المستقبل، وأن من لم يتعلم من التاريخ سيقع في العواقب نفسها، وقوم عاد قد بُعث فيهم هود عليه السلام، قال الطبري: "فأما عاد فإن الله عز وجل أرسل إليهم هود بن

---

35 الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة، 1413هـ – 1992 م، 93.

36 سورة الفجر: 6-14.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ومن أهل الأنساب من يزعم أن هودا هو عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها، يقال لإحداها: صداء، وللآخر صمود، وللثالث الهباء، فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره، وترك ظلم الناس، فكذبوه وقالوا: من أشد منا قوة ! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل، فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم" (37).

وقد كذَّب قوم عاد نبي الله هودًا عليه السلام، فعاقبهم الله عقابًا شديدًا، قال الطبري: "وإن عادًا أصابهم حين كفروا قحط من المطر، حتى جهدوا لذلك جهدًا شديدًا، وذلك أن هودًا دعا عليهم، فبعث الله عليهم الريح العقيم، وهي الريح التي لا تلقح الشجر، فلما نظروا إليها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال، تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تبادروا الى البيوت، حتى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فأصابتهم في يوم نحس، والنحس هو الشؤم، استمر عليهم بالعذاب سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، حسمت كل شيء مرت به، حتى أخرجتهم من البيوت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تنزع الناس﴾ عن البيوت، ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾، انقعر من أصوله «خاوية» خوت فسقطت، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيرًا سودًا، فنقلتهم الى البحر، فألقتهم فيه، فذلك قوله عز وجل: ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾، ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ، فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم، فلم يعلموا كم كان مكيالها؟ فذلك قوله: ﴿فأهلكوا بريح صرصر عاتية، والصرصر: ذات الصوت الشديد﴾ (38)، وأرى أن توضيح الطبري وتفصيله للعقاب قد أظهر بعضا من الأسباب التي تقدم بها هؤلاء القوم على من سواهم من قوم ثمود وقوم فرعون، فقد كان لقوم عاد خصوصية في العقاب، حتى إنه جاءهم على مراحل، كل مرحلة منها تمثل عذابًا شديدًا مستقلًا بذاته ، إلى أن انتهى بهم الأمر في البحر ولم يظهر لهم أثر. ومما يظهر تلك الخصوصية أيضًا أسبابٌ أخرى نذكر منها:

- استعمال الفعل (فَعَل) دون غيره واختصاصه بقوم عاد، ولبيان خصوصية الفعل فلا بد من تحديد معانيه المستعملة في كتاب الله، فهو إن جاء بلفظة الفعل مجردا دون بيان ماهيته كالذي معنا فإنه يدل على الغاية في معنى الضرر والإيذاء، وذلك كقوله تعالى حكاية عن فرعون مخاطبًا موسى عليه السلام ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت وكنت من الكافرين﴾(39)، والمقصود بالفعل هنا هو قتل موسى للمصري، والآية التي معنا تدل على

---

[37] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – 1387 هـ، 216/1.

[38] المصدر السابق، 1/ 226

[39] سورة الشعراء: 19

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الغاية العظمى في بلوغ العقاب من الله مبلغًا كبيرًا من قوم عاد، وهو ما وضحه الطبري في تفسيره، وإن جاء بلفظة الاسم (فِعْل) فإنها تأتي مضافة إلى الخير كقوله تعالى ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾(40).

- استعمال الاستفهام مع قوم عاد في قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ وحذفه مع قوم ثمود وقوم فرعون للعلم به، ومع أن الجامع بين الثلاثة هو الطغيان والتكبر والفساد، وكذلك عاقبة السوء مع اختلاف نوعها، إلا أن أسبقية عاد في التجبر والإفساد جعل لهم خصوصية في نوع العذاب.

كما يمكننا هنا أن نلخص عظمة النظم القرآني في سرد القصص الثلاثة تالية للقسم مباشرةً في أكثر من بيان:

- البيان الأول يأتي في مناسبة عظيم المقسم به وهو الفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل إذا يسر، وبين عظيم العقاب الإلهي للأقوام الثلاثة (قوم عاد، وقوم صالح، وقوم فرعون).
- البيان الثاني يأتي في توضيح مدى عزة المؤمن العاقل اللبيب الذي يعرف قيمة ما أقسم مولاه به ومدى خسة وذلة الطاغية المتجبر الذي يفسد في الأرض من خلال القصص الثلاثة، وقد جاء هذا البيان من خلال قوله تعالى ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾، وكأن لفظة السوط هنا تحدد نوعية العقاب وشخصية المعاقب، فالعبودية هنا حاضرة، تذكرة لكل متجبر بحقيقة نفسه، وأنه في النهاية عبدٌ وليس ملك، أينما حل أو تقلد من مناصب.
- وأما البيان الثالث فيتضح من خلال التأكيد على قِصَر مقام الطاغية مهما امتد به الزمن في قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾؛ ليتناسب مع الاستفهام التقريري المختتم به في المبحث الأول في قوله تعالى ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾؛ لتأتي لفظة (الحجر) جلية واضحة تمام الوضوح، في بيان أن صاحبه أفهم لمصائر الناس حسب أصنافهم، فالله لن يهمل فسادا دون عقاب أو طغيانا دون نهاية.

والجامع بين آيات القسم في المبحث الأول وآيات العواقب للأمم المتجبرة في هذا المبحث هو تأكيد نهاية الظلم في الدنيا قبل الآخرة، وهو مما يشير إلى وضع القسم في الكلام الهام أو الخطير أو الداعي إلى التأمل، وقوله تعالى ﴿الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد﴾ يدل على أن الطغيان لا يجلب إلا فسادا، وإنما أشار الله إلى فرعون مع وصفه بصيغة الجمع في نسبة الطغيان إليه (الذين طغوا) حتى يجعل منه رمزا للمفسدين في الأرض، قال تعالى ﴿ إنه كان عاليًا من المسرفين ﴾(41)، وقوله تعالى ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ دليل على سرعة العقاب

---

[40] سورة الأنبياء: 73

[41] سورة الدخان: 31

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفجأة الانتقام الإلهي، وفاء التعقيب دليل على ذلك، لكن التعبير بلفظة (السوط) في هذا الموضع وإضافته إلى العذاب يحتاج إلى تدقيق ونظر، خاصة عند التعبير بالفعل (صبَّ) والذي لا يتناسب مع السوط.

فالصورة في الآية الكريمة غاية في الروعة، فالله تعالى يريد معاقبة هؤلاء بعقاب يليق بفسادهم، مع تذكرتهم بأصلهم، وهو العبودية لله، وأنه لا يليق بأحد من خلقه أن يُنصِّب من نفسه حاكما على ملكه، فذكر (السوط) ليعاملهم معاملة العبد الآبق الذي جلب العقاب لنفسه من سيده، وجعل الصبَّ رمزا للعقاب لأن العذاب يأتي من أعلى، وهو دليل على تملك من يصب وهو الله تعالى الأحق بالاستعلاء والتملك.

ويأتي جواب القسم للمبحث الأول في هذا المبحث عند قوله تعالى ﴿إن ربَّك لبالمرصاد﴾ بأكثر من مؤكد، حيث جاءت الجملة الاسمية مؤكدة بإن واللام، كما أن إضافة (رب) إلى كاف الخطاب طمأنينة للمؤمن بجوار ربه، وأن الفساد لا يطول ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾(42)، واستعمال لفظة (مرصاد) يدل على الدقة المتناهية في تتبع الظالم وحصر خطواته، قال ابن منظور : " الراصد بالشيء: الراقب له. رصده بالخير وغيره يرصده رصدا ورصدا: يرقبه، والترصد: الترقب، والرصود من الإبل: التي ترصد شرب الإبل ثم تشرب هي. والرصد: القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث " .(43)

المبحث الثالث، بلاغة القرآن في بيان حالة النفس البشرية:

بعد أن بين الله تعالى عاقبة الأمم السابقة، أراد أن يظهر هذه النفس البشرية التي يغلفها الكبر ويغشاها التجبر، فقسمها إلى قسمين، فقال جل شأنه ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن، كلا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحاضون على طعام المسكين، وتأكلون التراث أكلًا لمًا، وتحبون المال حبًا جمًا ﴾ (44)، وكأني هنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم مبينا معنى الآية حين يقول (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب)(45).

---

[42] سورة النساء 141.

43 لسان العرب، ابن منظور، 177/3.

[44] الفجر : 15- 20.

[45] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم 1048.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص 256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وهنا لا بد من وقفة عند تقسيم الله عز وجل للأرزاق، وكيف جعل من نعمته للناس ابتلاء لهم، ليؤكد سبحانه حقيقة لا بد من إدراكها جيدا (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه)، فيعلم كل مسلم أن النعم ليست دليلا على رضا الله، وأن عدم وجودها أو قلتها ليست دليلا على غضب الله، وحقيقة الدنيا تظهر ذلك بوضوح، فأغنى الناس على هذا الكوكب هم اليهود والنصارى، وكثير من المسلمين يعانون الفقر والحاجة.

ومن الملاحظ هنا أن حديث الله تعالى في تلك الآيات متعلق بالإنسانية جمعاء دون تخصيص الموحدين بذلك، وهو ما يؤكد عالمية الرسالة المحمدية، وأن المشتركات البشرية أكبر من التباينات العقائدية وأعمق من الاختلافات الدينية، والله تعالى أعلم بحال خلقه وما يليق بهم على هذا الكوكب، وهو ما يرجع بنا إلى حقيقة التنوع في الرسائل الإلهية عبر رسله، من خلال تعددها في المبحث السابق، بين رسالة صالح مع ثمود، ورسالة هود مع عاد، ورسالة موسى مع فرعون وقومه، وهي نماذج نوعية تشير إلى جميع النماذج الأخرى في دلالاتها على المشتركات البشرية في افتراء وطغيان البشر حين يتملكون النعم أو يغتبطون بها، وفي الحقيقة أن هذه النعم من المُلك وسعة الرزق لهؤلاء كانت نقمةً وابتلاءً فشلوا في تجاوزه.

ويبدو من الآيات أن النعم المقصودة في الآيات ليست النعم الظاهرة فحسب، من مأكل وملبس ومشرب وغيرها، وإنما كل ما يتعلق بالنفع للإنسان، وهو ما جعل الله تعالى يأتي بأسلوب الإضراب عن موقف البشرية في حال النعمة من عدمها، ﴿ كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ والإضراب هنا قوي للغاية " كلا حرف ردع وزجر للإنسان عن قوله وبل حرف إضراب من قبيح إلى أقبح للترقي في ذمّهم، ولا نافية وتكرمون اليتيم فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به ولا تحاضّون عطف على لا تكرمون وعلى طعام المسكين متعلقان بتحاضّون " (46)، فاليتيم محروم من نعم كثيره، وحسبه فقدان عائله ومن يتقوى به في أمور دنياه، ألا وهو أبيه، لذا تقدم اليتيم في الحض على الإكرام قبل المسكين، لأن اليتم أقوى، والعلاقة بين تصنيف الإنسان حال النعمة من عدمها وبين الزجر والردع في ذكر اليتيم والمسكين، هي علاقة رد الفعل الواجب، وكأنه جل شأنه يقول لهذا الشاكر حين النعمة والناقم حين الحاجة، على أي شيء قدمته تريد دوام الحال ؟!!، إنك حتى لم يستعطفك اليتيم ليتمه ولا المسكين لشدة فاقته، فلا بد أن تعاني ولو لمرات ما يعانوه، فلربما يهتز قلبك أو تلين جوارحك لإخوانك المحتاجين .

والآيات غاية في الترابط النفسي والمعنوي، ولا توجد آية تفارق أختها، أو لفظة غريبة عن جارتها في النهوض بالمراد الإلهي، فالله حين حض على معاملة اليتيم والمسكين، خص معاملتهما بإكرام الأول، وإطعام الثاني، وفي ذلك سر

---

46 درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة، 1415 هـ، 475/10.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بلاغي، ناهيك عن تقديم اليتم على المسكنة في الآية. قال ابن منظور "اليتم: الانفراد؛ عن يعقوب. واليتيم: الفرد. واليتم واليتم: فقدان الأب. وقال ابن السكيت: اليتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم، ولكن منقطع. قال ابن بري: اليتيم الذي يموت أبوه، والعجي الذي تموت أمه، واللطيم الذي يموت أبواه. وقال ابن خالويه: ينبغي أن يكون اليتم في الطير من قبل الأب والأم لأنهما كليهما يزقان فراخهما، وقد يتم الصبي، بالكسر، ييتم يتما ويتما، بالتسكين فيهما. ويقال: يتم وأيتمه الله، وهو يتيم حتى يبلغ الحلم. الليث: اليتيم الذي مات أبوه فهو يتيم حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتم"(47).

فاليتيم لا يملك من أمر الدنيا شيئا، وإن ملك فأمره إلى وليه أو القائم على حاجاته، والقليل من العناية به وبحاله يكفيه ليزاول حياته دون تعب نفسي أو ضيق من الحياة، والله يريد أن يبني مجتمعا طيب النفس لا يحمل فيه الصغير قبل الكبير ضغينة لأحد فتصفو أخلاقه وتسمو عباداته، كما أن اليتم يرتبط بسن ما قبل البلوغ، فهو أقرب إلى الطفولة أو الصبا منه إلى سن الشباب والفتوة، فرعايته أولى من غيره ومقدمة على من يشاركه في الحاجة والمسألة حتى ولو كان أشد فقرا كالمسكين " وروي عن الأَصمعي أَنه قال :المسكين أَحسن حالاً من الفقير، وإِليه ذهب أَحمد بن عُبَيْد، قال: وهو القول الصحيح عندنا لأَن الله تعالى قال: أَمَّا السَّفِينة فكانت لمساكين؛ فأَخبر أَنهم مساكين وأَن لهم سَفينة تُساوي جُمْلة، وقال للفقراء الذين أُحصِروا في سبيل الله لا يستطيعون ضَرْباً في الأَرض: يَحْسَبهم الجاهلُ أَغنياءَ من التَّعَفُّف تعْرِفهم بسِيماهم لا يَسْأَلون الناس إلحافاً؛ فهذه الحال التي أَخبر بها عن الفقراء هي دون الحال التي أَخبر بها عن المساكين. قال ابن بري: وإِلى هذا القول ذهب عليُّ بن حمزة الأَصبهاني اللغوي، ويَرى أَنه الصواب وما سواه خطأٌ، واستدل على ذلك بقوله :مِسْكيناً ذا مَتربةٍ؛ فأَكد عز وجل سُوءَ حاله بصفة الفقر لأَن المَتْربَة الفقر، ولا يؤكد الشيءِ إلا بما هو أَوكد منه، واستدل على ذلك بقوله عز وجل: أَما السفينة فكانت لمساكينَ يَعْمَلون في البحر؛ فأَثبت أَن لهم سفينة يعملون عليها في البحر"(48).

والآية التي معنا تدل على ملازمة اليتيم للمسكين في وجوب العناية والاهتمام بهما، وهما صنفان مترابطان في كثير من الآيات، تتقدم فيها جميعًا حالة اليتم على حالة المسكنة، سوى ما كان خاصًا بالإطعام فإن المسكنة تأتي منفردة، أو مقدمة عند اجتماعها باليتم، فمثال اجتماع الحالتين مع تقدم اليتم قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم

47 لسان العرب، مصدر سابق، 645/12.

48 المصدر السابق، 60/5.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

إلا قليلا منكم وأنتم معرضون﴾(49)، وقوله تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾(50)، وقوله تعالى ﴿وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾(51)، وقال تعالى ﴿وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾(52)، وقال تعالى ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾(53)، وقال تعالى ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ (54) .

ومثال ذكر المسكنة منفردة مع الإطعام قوله تعالى ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ (55)، وقوله تعالى ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾(56)، وقوله تعالى ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾(57)، ومثال تقدم المسكنة على اليتم حال الإطعام قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما

---

[49] سورة البقرة: 83

[50] سورة البقرة: 177

[51] النساء: 8

[52] البقرة: 177

[53] البقرة: 215

[54] الأنفال: 41

[55] المائدة: 89

[56] البقرة: 184

[57] المجادلة: 4

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
282-256ص.ص العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وأسيرا﴾(58)، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾(59)، سوى آية واحدة تقدم فيها اليتم على المسكنة حال الإطعام وهي قوله تعالى ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة﴾(60)، وهي الآية الوحيدة في كتاب الله التي وصفت اليوم بالجوع، والمعروف أن وصف المسكين بهذا الوصف أولى، أما أن يوصف الزمن به فهذا يدل على أن الجميع أشد معاناة وأعظم حاجة، فتكون الأولوية للضعفاء ويتقدمهم الطفل الصغير الذي فقد عائله ويليه المسكين الذي ربما يكون له دخل لا يكفيه.

فإذا جاء اليتيم منفردا في كتاب الله جاء بخصوصية الإكرام كآية الفجر أو خصوصية أخرى لا علاقة لها بإطعام أو نحوه، وإنما بحفظ ماله أو الوعيد لمن اختلس منه أو الحث على الحنو عليهم وتقريبهم من المجتمع المسلم باتخاذهم إخوانا أو الزواج منهم وغير ذلك، قال تعالى ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾(61)، وقال تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾(62)، وقال تعالى ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾(63)، وقال تعالى ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾(64)، وقال تعالى ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾(65).

58 الإنسان: 8

59 المائدة: 95

60 البلد: 14

61 النساء: 2

62 النساء: 10

63 البقرة: 220

64 النساء: 3

65 النساء: 127

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
282-256ص.ص العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وقوله تعالى ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ معطوفة على قوله تعالى ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم﴾، والجامع بينهما هو نفي الفعل في التركيبين، فالأول نفي للإكرام، والثاني نفي للحض والحث، وقد آثر سبحانه الفعل (تحاضّون) على غيره لأسباب بلاغية، منها:

- أن الفعل (تحاضون) يدل على التفاعل والتشارك ما بين أطراف المجتمع في التناصح للخير، قال ابن منظور "الحضُّ الحثُّ على الخير. ويقال: حضضت القوم على القتال تحضيضا إذا حرضتهم. وفي الحديث ذكر الحضَّ على الشيء جاء في غير موضع. وحضَضه أي حرَّضه. والمَحاضة: أن يحثَّ كل واحد منهما صاحبه"(66).
- دلالة الفعل المضارع في الآية على ضرورة الاستمرار بين أفراد المجتمع الواحد في النصح والإرشاد والتجمع الدائم على خير.
- التشديد في الفعل كما يدل على تكرار الحث والنصح يدل أيضا على مدى الاهتمام الشديد بالفئات الضعيفة في المجتمع.

وقوله تعالى (وتأكلون التراث أكلا لمًّا) معطوف على ما قبله لفظا ومعنى، فالعطف اللفظي بالواو،
والعطف المعنوي بعدم استحقاق هؤلاء للنعمة لإضرارهم بالمجتمع، فقد أضروه بإهمال اليتيم والمسكين، وهنا أهملوه بأكل حقوق أفراده.

والتعبير بالمفعول المطلق (أكلًا) مع وصفه بالشدة (لمًّا) يدل على أن التعدي على حقوق الميراث لم يكن لها حد يقف عندها الآكل، قال القرطبي في تفسير الآية (الأكل اللم: الذي يأكل كل شيء يجده ولا يسأل، فأكل الذي له والذي لصاحبه، كانوا لا يورثون النساء، ولا يورثون الصغار، وقرأ: " ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان) أي: لا تورثونهن أيضا (أكلًا لمًّا) يأكل ميراثه، وكل شيء لا يسأل عنه، ولا يدري أحلال أو حرام "(67).

وحسبنا هنا لبيان مدى جحود الإنسان وظلمه لنفسه ولمجتمعه الصورة الملفتة لآكل حقوق الناس، ومظهره المشين وهو يلوك بفمه طعاما مسروقا منهوبا، وهو ما يفسر بعد ذلك أن استساغة هؤلاء الآكلين لحقوق الغير مرجعه حبهم الشديد لجمع المال وكنزه، فجاء قوله تعالى (وتحبون المال حبًّا جمًّا) مبينا أسباب أكل الميراث.

---

[66] لسان العرب، مصدر سابق، 7/ 136

[67] جامع البيان، مصدر سابق 415/24

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وينتهي هذا الجزء من البيان القرآني في توضيح أسباب عزوف الإنسان عن شكر النعمة حال وجودها أو تقتيرها، وكأن الحكيم العليم يقول: هل من العقل أيها الإنسان أن تدوم عليك النعم من كل جانب دون أن تؤدي حقوقها ؟!، ولماذا لا أضيق عليك أياما كما ضيقت على كثير من خلق الله؟ !، فقد استضعفت اليتيم والمسكين ونهبت حقوق الآخرين، فكيف تريد دوام النعم عليك وأنت تحرم غيرك منها.

المبحث الرابع، بلاغة النظم في بيان أهوال القيامة وموقف البشرية منها:

قال تعالى ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾. وللمرة الثانية يأتي حرف الردع والزجر والتنبيه (كلا)، على أي شيء تنصب تلك المعاني؟ إنها تنصب على دوام حال الإنسان الذي اعتبر تقتير النعمة من الله إهانة له، وهو نفس الشخص الذي يهين اليتيم ولا يطعم المسكين ويأكل ميراث الآخرين، ويبدو هنا من خلال الزجر مرتين أن تلك السورة وما تحتويه من دلالات ومعاني لها أهمية بالغة في انضباط سلوك الفرد والمجتمع المسلم، وذلك ظاهر جلي في التراكيب المختارة لتصوير أهوال القيامة، فلم يكثر العلي القدير من تفاصيل تلك الأهوال، بل اكتفى بتصويرين عظيمين يناسبان تماما موقف هذا الإنسان الطاغي، فالتصوير الأول خاص بالأرض التي يتخبط فيها هذا الإنسان يمنة ويسرة، وقد ملأ جنباتها بالظلم والطغيان والفساد، والتركيز عليها دون سواها من مظاهر القيامة أن الفاسدين في هذه الدنيا يمارسون فسادهم وظلمهم عليها، وهي ألصق بهم في حياتهم من غيرها كالسماء والبحار، فإن علموا أنها ستتحول يوما إلى لا شيء وتخسف بهم ربما عادوا إلى رشدهم.

والتصوير الثاني خاص بمجيء حساب الله تعالى وقد عبر عنه القرآن بمجيء الله (وجاء ربك) والتعبير بالرب دليل على الرغبة القرآنية في إشاعة جو الخوف والفزع في قلوب الطغاة والفاسدين الذين نسوا حسابهم، فالإنسان الذي يتلاعب بملك غيره إذا ذكرته بأن لهذا الملك ربا وصاحبا سيعاقبه فإنه يرتدع ويعود إليه صوابه، والله تعالى وله المثل الأعلى قد عبر بلفظة (الرب) دون سواها رغبة في هذا المعنى، فإن قيل وما علاقة دك الأرض بمجيء حساب الله ؟، قيل بأن صاحب الأرض له الحق أن يدكها وقتما شاء كي يزجر ويردع بها من يشاء.

فإذا جاء دور الملائكة في قوله تعالى (والملك صفًّا صفًّا) كان أدعى للزجر والرهبة، وكأن الملائكة قد اصطفوا وهيأوا أنفسهم من أجل هذا الفاسد على الأرض، وهي صورة يراد بها مقابلة الفساد بالقوة التي تقهره وهي إثارة الرعب في القلوب وشحن الهمم لتجنب هذه الصورة بالإصلاح والنفع وإقامة العدل.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ولا تزال صورة الرعب مستمرة مع قوله تعالى (وجيء يومئذ بجهنم)، فهم لم يذهبوا لها كما في قوله تعالى ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾(68)، لأن السياق هنا في الفجر هو سياق التحذير العام لكل البشر مسلمهم وكافرهم من مغبة الظلم والفساد والتعدي على حقوق الضعفاء والحب الجم للمال ، والدليل على ذلك قوله تعالى في المبحث الثاني ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ فهي عادةٌ بشرية لا ترتبط بدين، والله أراد أن يصحح المفاهيم من خلال الخطاب العام، فالكل عبيد لله، فالأنسب هو الإتيان بالشيء المخيف وليس الذهاب إليه لئلا يتوهم طاغية أو فاسد بأنه قادر على منع عذاب يأتيه بعينه، فيظهر عجزه وضعفه.

وأما السياق في سورة الزمر فقد استقل في كتاب الله بعقد مقارنة بين الجنة والنار في إطار استقبال كل منهما لأصحابها ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ، سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾(69)، فكان الأنسب أن يساق الكفار إلى جهنم ولا تأتي جهنم إليهم.

ومن بلاغة النظم القرآني في مجيء جهنم هو مناسبة هذا المجيء لتذكر الإنسان في الآية التالية ﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾، وكأنك جئت بشاهد غير متوقع المتهم لإثبات جرمه، والشاهد هنا هو جهنم، وهو يعلم تماما أنه مذنب ويستحق العقاب فيبدأ في تذكر جرائمه، ويكون ذلك مدعاة لتذكر ذنبه، لكن حينذاك لا ينفع الندم ولا تقبل المعذرة. ولذلك عند التأمل في لفظة (يومئذ) تجد لها مدلولات عجيبة في السياق القرآني من حيث ترتيبها واستعمالها. أما من حيث الترتيب فقد تقدمت على غيرها في الجملة الفعلية (يومئذ يتذكر) لأهمية اليوم ولسوق الأدلة على تلك الأهمية سابقا من دك الأرض ومجيء الحساب وكذلك حضور كل من الملائكة وجهنم، فكان لا بد أن يتقدم هذا اليوم على غيره، وهو ما جعلها أيضا تأتي مرة ثانية بعد قوله تعالى ﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾، فما جعل الإنسان يخاطب نفسه نادما على ما فات هباء من حياته هو اليوم الذي يشهد فيه عذابه ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾، لأنه طالما يوجد حساب فإن العقل يعمل والحواس تتفاعل، وتلك طبيعة بشرية، ولو عدم الحساب لوقفت هذه الحواس كلها وسكنت آمنة من العقاب، وهذه رحمة الله بعباده في الدنيا والآخرة، يخاف العاصي من القوانين التي ستناله بسبب جرائمه ولا يخاف الطائع. وأما من حيث الاستعمال، فلفظة اليوم هنا أنسب من الوقت أو الحين، وذلك لأن القيامة وأوالها خصصت

---

[68] سورة الزمر : 71

[69] سورة الزمر : 71- 73

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بيوم فلم يرد وقت القيامة أو حين القيامة وإنما ورد يوم القيامة، واليوم عن الحكيم العليم له خصوصية في لفظه، فبه تقوم الشهور والأعوام، وبه تسجل الأحداث والتغيرات، وإليه تنسب المناسبات، وكل أمور الدنيا تدور حول هذه اللفظة. وقوله تعالى ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي، يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ، يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(70)، بيانٌ موجزٌ ومجمل لحال العاصي والطائع بعد أهوال القيامة السابقة، وهنا لا بد من الوقوف عند بعض التلميحات القرآنية للحالتين (الطاعة والمعصية) من خلال بعض الألفاظ والجمل المختارة، وأول تلك الألفاظ هي (الوثاق) وهي اللفظة التي كررت مرتين في القرآن، هذه إحداها والأخرى في قوله تعالى ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾(71). جاء في لسان العرب: "الوَثاقِ: حبل أو قَيْد يُشدّ به الأسير والدابة"(72)، واستعمال اللفظة في هذين الموضعين يعني وجود أفعال مشتركة بين المستحقين لهذا الرباط والقيد، فآية سورة محمد ذكرت الكفار صريحا، وأما آية الفجر فجعلت المتدبر للمعاني يستخلص بنفسه، لأن السورة من بدايتها تهدف إلى تنشيط العقل البشري وبحثه عما وراء التراكيب والتصويرات.

إن انتقال العلي القدير من تعداد الطغاة والفاسدين وتأكيد نهايتهم في قوله سبحانه ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ ثم بيان حالة البشر حال النعمة وقلتها بين الشكر والسخط، ثم الاعتراض الإلهي على هذه الحالة البشرية التي تطلب دوام النعمة مع إهانة اليتيم والمسكين أكل حقوق الناس، كل ذلك يستدعي معاملة تلك الحالات الفاسدة معاملة الكافر بالنعمة، الذي لا يرى إلا نفسه، فاستحق أن يوثق كالمجرم المساق إلى المحاكمة حتى يقضي عقوبته.

وأما اللمحة الثانية في الآية فهي بلوغ العذاب من هذا الفاسد مبلغا لا يضاهيه فيه أحد، وذلك في قوله تعالى ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾، مع أن المعذب بهذا العذاب ليس واحدًا، وبالرغم من أن الخطاب الجماعي يغلب على السورة في أكثر عباراتها، فإن الله تعالى هنا أراد أن يجعل المأمورات جماعية والعواقب فردية، وهي الغاية البلاغية التي لا يصل إليها مخلوق؛ فالإنسان في الدنيا إن أصابه مكروه يستبعد أن يصاب بهذا المكروه أحدا سواه، فخاطب الله خلقه بما يفهمونه، وجعل العذاب جزءا من هذا الخطاب، وكذلك النعيم الذي سيأتي ذكره في نداء النفوس المطمئنة.

والله تعالى كما بدأ بالقسم على إتيان عذابه للعصاة والفجرة في أول السورة ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ يختم بتبشير النفوس التي كانت مطمئنة وموقنة بعقاب الظالم ونصرة المظلوم ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

---

[70] سورة الفجر: 24- 30

[71] سورة محمد: 4

[72] لسان العرب، مصدر سابق، 371/10

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ونلاحظ هنا أن لفظة (رب) المضافة إلى كاف الخطاب قد كررت مرة ثانية بعد أن جاءت في قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهي لا محالة تشريف للمخاطب، لكن اللمحة البلاغية هنا تتضح من خلال اختيار الموضعين، فالأول في تأكيد إمهال الله تعالى للطغاة وحاشاه تعالى أن يغفل عن حقوق خلقه، والموضع الثاني في خطاب النفس المطمئنة (ارجعي إلى ربك)، وبلاغة الموضعين تتجلى فيما يلي:

أولًا: النفس المطمئنة هي نفس عانت الظلم والفساد من هؤلاء الذين توعدهم الله بقوله سبحانه ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾.

ثانيًا: أن الخطاب في الآيتين هو محور السورة كاملة، لأن كل نفس إنسانية توقن برصد الله لكل صغير وكبير، لا بد لها أن تطمئن وتشعر بالسكينة، وهذا من أسرار اختيار الله للفظة (مرصاد).

ثالثًا: كلما أيقنت النفوس المؤمنة أن ربها الذي آمنت به هو مرجعها ومآلها زاد يقينها بنصره الذي وعدها به في قوله سبحانه ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾.

رابعًا: ما يجعل الترابط بين الموضعين أكثر هو وصف النفس المطمئنة بأنها (راضية مرضية)، فهي راضية ببعدها عن أعمال الفَسدة والعصاة، ومرضية بأخذ حقوقها منهم، ولولا رصد الله لأعمالهم ما حصل ذلك كله.

والأمر بدخول الجنة في قوله تعالى ﴿فادخلي في عبادي﴾ أمر ترحيبي من الخالق الكريم، ولفظة (عباد) إما تأتي مضافة إلى ياء المتكلم، كقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(73) وقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(74)، وقوله تعالى ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(75)، أو تأتي مضافة إلى لفظ الجلالة أو اسم من أسمائه كقوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(76)، وتلك الإضافات جاءت تشريفًا للقوم المؤمنين وتبشيرًا لهم بحسن العاقبة، وهو ما جعل العلي القدير يستبعد تلك الإضافات مع لفظة (العبيد) لأنها تشمل عامة الناس مؤمنهم وكافرهم.

وأما التعبير بلفظ الرجوع ففيه بشارة براحة النفوس بعد العناء والسكون بعد الحركة والعودة للوطن بعد الاغتراب عنه.

---

[73] سورة الزمر : 53

[74] سورة البقرة: 186

[75] سورة الزخرف: 68

[76] سورة الفرقان: 63

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
282-256ص.ص العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وما أجمل الخاتمة بذكر الجنة وإضافتها إلى المالك الحقيقي ﴿وادخلي جنتي﴾ فتستريح النفس المطمئنة لأن هذا المالك هو ربها الذي نسبها لنفسه من قبل.

النتائج:

يمكننا هنا بعد التحليل البلاغي لآيات سورة الفجر، وتقسيمها وفقاً للعناصر الرئيسة التي اعتمدت عليها، أن نستخلص بعد النتائج البلاغية والدلالية، والتي تتمثل في التالي:

- التدرج الواضح في المقسم به في استهلال السورة، بدايةً من وقت الفجر، مروراً بالليال العشر والشفع والوتر، وانتهاءً بالليل وسريانه، وما في هذا التدرج من رباط يربط هذه المقسمات بعضها ببعض.
- يأتي حصر بعض الأقوام السابقة وعاقبتها مقصوداً في ذاته، لاسيما إن كانت هذه الأقوام تشترك في مدى الطغيان ويجمعها قوة البطش والغفلة عن نهايتها الحتمية.
- استعمال بعض الألفاظ مقصود بعينه، لقوته في أداء المعنى المقصود، كاستعمال السوط ملازماً لعذاب الأقوام الشاردة عن الحق، والتي تسببت في تعنيف أنفسها تعنيف العبيد وليس الأحرار، بعد خروجهم عن الفطرة السليمة.
- تصحيح المعتقد السائد عند كثير من العقول القاصرة، والتي تظن ما فيه من نعمة هو خير لها وما أصابها من نقمة هو شر لها، والرد عليهم ومجابهتهم بحقيقة نفوسهم المريضة التي تستحل أموال الميراث، وتتجاهل اليتامى تجاهل الغافل العاصي.
- تصوير مشاهد القيامة في أوضح صورها وكأنها مرئية للعيان، كمجيء جهنم وتصوير حركاتها للعاصين كان آكد على المعنى وقوة له، لا سيما مع ورود ذلك بعد مجابهة العاصي بحقيقته.
- خطاب النفس المطمئنة بأسلوب النداء وتذييل السورة بها كان له عظيم الأثر في تحفيز النفوس على الخيرات والمسابقة إليها، خاصةً بعد تجسيد هذه النفس في صورة إنسان يسمع ويعقل ويمكن خطابه والنداء عليه.

التوصيات:

يمكننا من خلال ما تبين لنا أثناء تحليل الآيات، التوصية ببعضٍ من التوصيات، أبرزها ما يلي:

- ضرورة اهتمام الدراسات البلاغية بالأوقات الواردة في القرآن الكريم، خاصةً التي وردت في القسم.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
Issue: N21 ISSN: 2958-8537 العدد الواحد والعشرون: ص.ص256-282
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- من خلال التحليل البلاغي، تبين ضرورة الوقوف على عواقب الأمم السابقة في كثير من مواضع كتاب الله، وتخصيص دراسات بحثية تهتم باكتشاف الأسرار البلاغية وراء هذا التخصيص.
- كثير من الدراسات البلاغية تهتم في الدراسات القرآنية بالسور الطويلة، مع قلة الدراسات المهتمة بقصار السور وأهميتها في الدلالات، وبلاغتها في استعمال أساليب الإيجاز.
- يمكن تخصيص دراسات بلاغية للألفاظ النادرة في كتاب الله كلفظة السوط التي لم ترد سوى في سورة الفجر، لما يمكن أن تخرج به هذه الدراسات من كنوز دلالية وأسرار بلاغية.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/04/2024
ص.ص256-282 العدد الواحد والعشرون: ISSN: 2958-8537 Issue: N21
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ثبت المصادر:

- ابن منظور، محمد بن مكرو بن علي. لسان العرب، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الترغيب والترهيب. مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة، 1413هـ – 1992م.
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٤م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تَناسُق الدرر في تَناسُب السوَر، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢ م – ١٤٢٢هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – 1387 هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.